

السيميوطيقا وتأويل النص

Semiotics and interpretation of the text

عيساني المجد *

المركز الجامعي تسمسيلت / الجزائر (aabdou1965.ma@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2020 / 01 / 12 ؛ تاريخ القبول : 2020 / 06 / 03 ؛ تاريخ النشر : 2020 / 07 / 20

Abstract

المخلص

Philosophical hermeneutic, it works to override the multiplicity of approaches and interpretation techniques towards of hermeneutic sentiment that is found in the linguistic structure of the world as a guarantee of its effectiveness. The nature of things makes the movement of comprehension a universal and holistic movement. Hence the entire aspiration of hermeneutic tends to understand understanding. This task is not to lay out a procedure for understanding (...), but rather to highlight the conditions for the ability of the hermeneutic, that is, the conditions that allow understanding to occur, such as saying: What must we do to understand? How is understanding possible?

Keywords : Interpretation, Semiotic, Paul Ricoeur

تعمل الهرمنيوطيقا الفلسفية على " مجاوزة تعدد المناهج وتقنيات التأويل باتجاه شعور تأويلي يجد في البنية اللغوية للعالم ضمانا لفعاليته. إن طبيعة الأشياء ذاتها تجعل من حركة الفهم حركة شاملة وكليّة. لذلك ينزع طموح الهرمنيوطيقا بأكمله إلى فهم الفهم. وهذه المهمة لا تتمثل في بسط إجراء يخص الفهم (...). وإنما في إبراز شروط إمكانية الهرمنيوطيقا، أي الشروط التي تسمح بحدوث الفهم، كأن نقول: "ماذا يجب أن نفعل لكي نفهم؟ كيف يكون الفهم ممكناً؟"

الكلمات مفتاحية: التأويل، السيميوطيقا، بول ريكور

1. مقدمة:

مما لا شك فيه أن الإنسان يشكل مع محيطه مجموعة من العلاقات، وهي نسيج مبني على أنظمة مكونة من العلامات أي أنظمة سيميوطيقة يؤسس من خلالها خطاب دلالي تواصلية. فتفاعلنا مع الآخر والطبيعة يكون عبر علامات دلالة ونسقية، فدراستنا للتاريخ مثلا لا تكون "على أساس أنه سجل بما حصل، أي أرشيف أحداث، وإنما من منطلق سيميوطيقي"⁰.

هكذا تعنى السيميائيات بتحليل الخطاب بمفهومه الواسع، فتستكنه "مولدات النصوص وتكويناتها البنوية الداخلية، وتبحث جادة عن أسباب التعدد، ولا نهائية الخطابات والنصوص والبرامج السردية، وتسعى إلى اكتشاف البنيات العميقة الثابتة، وترصد الأسس الجوهرية المنطقية، والتي تكون وراء سبب اختلاف النصوص والجمل والملفوظات الخطابية"⁰، أي كل ما يتصل بالسلوكات البشرية ومنتجاتهم، فهي تهتم بكل أنواع النصوص، وذلك من خلال فهم وتفسير بنية النص الدلالية التي يتضمنها والوقوف على قصديته، حيث "لا يمكن مقارنة أي نص أو خطاب أو نشاط إنساني وبشري مقارنة علمية موضوعية، إلا بتمثل المقاربة السيميوطيقية التي تتعامل مع هذه الظواهر المعطاة، وذلك باعتبارها علامات وإشارات ورموزا وأيقونات واستعارات ومخططات"⁰، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالنموذج اللساني البنوي المعاصر الذي أسس له العالم اللغوي **فريدناند دي سوسير De Saussure (1857 - 1913)** وجعل من اللسانيات علما شاملا تستفيد منه المعارف الأخرى كالنقد الأدبي والأسلوبية والتحليل النفسي وعلم الاجتماع والنقد الفلسفي.

من هنا نجد السيميائيين كثيرا ما ينجذبون إلى المصطلح وإغراءاته، فيستعملون الرموز المنطقية أو الجبرية وكذلك الأشكال والمخططات التوضيحية. وقد أثبت ذلك كل من **دي سوسير** وشارل سندرس بيرس **Charles. s. Pierce (1839 - 1914)** في بحوثهم الفكرية، حيث ركز الأول على الدلالة والقيمة، بينما ركز الثاني على الإيقونة والمؤشر والرمز، فهو يقرن علم السيميوطيقا بالمنطق، ويعتبر وظيفته منطقية وفلسفية محضة. فالفعل الاتصالي هو إنساني بالأساس يمكن التعامل معه تحليليا، والأمر هنا يتعلق بمعنى تأويل النصوص، "كجانب من جوانب الدراسات العقلية. والتأويل - أو القراءة بمعناها الواسع - هو أحد الأهداف الكبيرة المتوخاة من الدراسات الأنسانية"⁰.

تتبنى فكرة هذه الدراسة حول النص باعتباره أحد المفاهيم اللسانية والسيمائية الأساسية، ومنه نسأل عن درو السيميوطيقا في تأويل النص؟

1- سيميوطيقا بيرس: الأسس والدلالة

ارتبطت السيميوطيقا بالفيلسوف الأمريكي بيرس، وهو أول من أطلق على علم الدلالة اسم السيميوطيقا، إذ تقوم هذه الأخير في نظره على المنطق والظاهرية والرياضيات، فأصبحت فرع من علم الدلالة الرمزية. يقول بيرس: "إن المنطق بمعناه العام، ليس سوى تسمية أخرى للسيميوطيقا، إنه النظرية شبه الضرورية أو الشكلية للدلائل، وحينما أصف هذه النظرية باعتبارها شبه ضرورية أو شكلية، فإني أود أن أقول: إننا نلاحظ خاصيات الدلائل التي نعرفها، وأنها ننساق، انطلاقا من هذه الملاحظة، بواسطة سيروية لا أتردد في تسميتها بالتجريد إلى أقوال خادعة للغاية"⁰، فهي مبنية على منطق الرياضيات القائم على الفرضيات واستنباط النتائج.

ينطلق بيرس في سيميائيته من العلامة أو الممثل "الماثول" **Représentamen** أو **relations-signes** على اعتبارها شيء تقيد معرفته معرفة شيء آخر⁰، فهي منطلق السيروية الدلالية التداولية، وهي منقسمة إلى ثلاثة عناصر مكونة لها (الممثل "الماثول" - الموضوع - المؤول)، "إن هذه المعرفة المضافة (بالمعنى البورسي للكلمة) تدل على أن الانتقال من مؤول إلى آخر يُكسب العلامة تحديدات أكثر اتساعا، سواء كان ذلك على مستوى التقرير أو على مستوى الإيحاء"⁰، لأن المؤول هو العنصر الثالث داخل العلامة، "الركيزة الأساس التي يقوم عليها فعل العلامة، فهو الذي يضمن صحة الإحالة من الماثول إلى الموضوع"⁰.

يستنتج من هذا أن السيميوطيقا البيرسية هي بحث في ما هو رمزي، أي أنها تهتم بما هو لغوي وغير لغوي، لساني وغير لساني، يُنتج في حضان المجتمع. فوظيفتها تكمن في "إنتاج مراقبة مقصودة ونقدية للعادات أو الاعتقادات، وهنا يوجد المجال الخاص بالمعرفة الفلسفية أو العلمية التي تُبلور، في أوقات محددة من تاريخها، سلسلة من المعايير التي تسمح بتحديد ما هو صادق، سواء كان هذا الصدق مفكرا فيه باعتباره ملائمة (كفاية) أو باعتباره انسجاما داخليا أو باعتباره مشاكلا للواقع"⁰.

ويعتمد بيرس منطقا "يسعى إلى تفسير معاني ودلالات التجربة الإنسانية استنادا إلى معلومات أمبريقية وقواعد شكلية ذات طبيعة تأملية، بعيدا عن التصور اللغوي الذي سرعان ما التزم به دي سوسير في مجال اللسانيات البنوية"⁰.

وعلى اعتبار أن للتأويل موقعه داخل نسيج السميوزيس اللامتناهية، فهو يقترب أكثر فأكثر من المؤول النهائي، وبالتالي "فالسيرة التأويلية تنتهي، في مرحلة ما، إلى إنتاج معرفة خاصة بمضمون الماثول أرقى من تلك التي شكلت نقطة انطلاق هذه السيرة"⁰، لأن موضوع السيميائيات هو السيرة المؤدية إلى إنتاج الدلالة وتداولها، أو ما سماه بيرس ب: السميوزيس (semiosis)⁰. وغياب عنصر من هذه العناصر الثلاثة، السالفة الذكر، حتما سيؤدي حسب بيرس إلى تدمير العلامة وبالتالي إلى تحجيم قدرته على إنتاج المعنى، فالترابط الجوهرى بين هذه العناصر، يكشف "عن الترابط بين الداخل والخارج في النص وفي التجربة الفنية ككل. فما دمنا لا نستطيع تحديد كنه أي شيء خارج أدوات التمثيل، فإن التجربة الإنسانية في كليتها تحضر عبر وجهها الرمزي، ولا يمكن إدراكها إلا عبر هذا الوجه"⁰.

(2) - النقد السيميائي والعلوم الإنسانية:

عمدت السيميائيات المعاصرة إلى العودة إلى التجربة الرمزية أو لنقل إلى العلامة ذاتها، وجعلتها "مدخلا مركزيا من أجل التعرف على هوية الإنسان، باعتباره كائنا يأتي إلى العالم من خلال إمكانات اللغة في المقام الأول"⁰. فهو بداخلها ينمو ويضمحل ويضمّن رؤاه لهذا العالم أيضا. أي أنه من خلال اللغة وتقطيعاتها يمكن أن يعي نفسه وعالمه في الوقت نفسه، فنحن كائنات نتجها اللغة. "نحن نتعامل مع التجربة الإنسانية باعتبارها لغة، لغة كما هو اللفظ، أو لغة كما يأتي من البصر، أو كل ما يُنتج من الطقوس أو الجسد الإنساني، وفي النهاية أن العالم الذي نسكنه هو عالم رمزي في المقام الأول. هو منتج من منتجات الممارسة، وهو الذي من خلاله نستطيع أن نفهم الكائن البشري"⁰.

يمكن اعتبار العلامة أداة رمزية موجهة لتنظيم التجربة الحياتية للإنسان، فلا أفق لها خارج اللغة. فاللغة، وضمن كل النصوص بأنواعها، تُمكنُ الكائنات البشرية من فهم الأحداث وفك رموزها، ذلك أن هذه الأحداث تكون مثقلة في كثير من الأحيان بالعلامات، يستعصي على المرء بلوغها، وحيث أنها هي كذلك، فهي "تهتم بالإيديولوجية، وبالبنى الاجتماعية - الاقتصادية، وبالتحليل النفسي، وبالشعرية، وبنظرية الخطاب. وقد تأثر تطورها من الناحية التاريخية، بقوة بالبنوية الفرنسية وبما بعد البنوية، أي بالأنثروبولوجية البنوية وبحفريات ميشال فوكو Michel Foucault (1926 - 1984) وبالفرودية الجديدة عند جاك لكان Jaque lacon (1901 - 1981)، وبعلم الكتابة عند جاك ديريدا Jaque Derrida (1930 - 2004)"⁰.

وَتُعَرَّف العلوم الإنسانية بأنها ذلك العلم الذي يكرس نفسه لدراسة النصوص الاجتماعية المرتبطة بسلوكات الكائنات البشرية الواعية وتأويلها، دورها دور العلوم الطبيعية التي تهتم بدراسة الطبيعة وتفسيرها.

الاستعارة وقصدية المؤلف:

يرى امبرتو إيكو **Umberto Eco (1932 - 2016)** أن الاستعارة ترتبط في أحيان كثيرة بتجربتنا الداخلية الخاصة بالعالم، كما لها علاقة بضرورة انفعالاتنا، لكن "هذا لا يعني أن الاستعارة تُنتج بمجرد تأويلها جوابا انفعاليا وعاطفيا. ففي هذه الحالة فإن الظاهرة موجودة ولا يمكن نُكرانها، فهي تمثل موضوعا للدرس في سيكولوجيا التواصل. ومع ذلك، سنظل دائما في حاجة إلى معرفة إلى أي تأويل دلالي يمكن أن نستند لكي نجيب انفعاليا عن الملفوظ/المثير"⁰.

فالاستعارة مرتبطة بالصدمة الإدراكية، وتتبع من العلاقة التي تقوم بيننا وبين العالم المدرك، الذي "يسبق الفعل اللساني ويحفزه. والحال أننا، وبشكل لا يقبل الجدل، نخلق استعارات للتعبير عن تجربة داخلية للعالم منبثقة من كارثة إدراكية. ولكن إذا كنا نتحدث عن الاستعارات باعتبارها نصوصا معطاة سلفا، وإذا كنا لا نستطيع تخمين أي شيء حول سيورة توليدية إلا من خلال تأويلها، فسيبدو من الصعب القول إن الكاتب عاش تجربة نفسية وقام بترجمتها إلى كلمات، أو عاش التجربة لغويا ثم استقى منها تصورا خاصا في إدراك العالم"⁰.

من هنا نرى أن الاستعارة مرتبطة بقصدية المتكلم وتأويلها ينتج عن عملية التفاعل بين المؤول والنص، "ولكن نتيجة هذا التأويل تفرضها طبيعة النص وطبيعة الإطار العام للمعارف الموسوعية لثقافة ما. وفي جميع الحالات، فإن هذه النتيجة لا علاقة لها بقصدية المتكلم. فبإمكان المؤول أن ينظر إلى أي ملفوظ نظرة استعارية، شريطة أن تسعفه في ذلك الموسوعة"⁰.

ويرى روبرت شولز **Robert Schulze (1911 - 1974)** أنه "حيث ما توجد نصوص توجد (...) [بالضرورة] قواعد تتحكم بإنتاج النصوص وتأويلها. وهذه القواعد أو العادات بضوابطها الطبيعية أو الثقافية التي توصف وصفاً مختلفاً بأنها لغات، أو أوساط أو شفرات"⁰. وبعبارة أخرى "عندما يتم إنتاج نص ما لا لكي يقرأه قارئ بعينه، بل لكي يتداوله مجموعة كبيرة من القراء، فإن المؤلف يدرك أن هذا النص لن يؤول وفق رغباته هو، بل وفق إستراتيجية معقدة من التفاعلات التي تستوعب داخلها القراء بمؤهلاتهم اللسانية باعتبارها موروثة اجتماعيا"⁰.

فالإرث الاجتماعي هو مجموع ما أنتجه الاستعمال الخاص للغة، أي كل الموصفات اللغوية، بما فيها ذلك النص الذي بين يدي القارئ. ففعل القراءة مرتبط بمدى استيعاب هذه العناصر المكونة للموسوعة العامة المنتجة، أي أن تأويل النص هو "جزء من آلياته التوليدية الخاصة، فالقراءة عند إيكو، عمل استدلالي يستثمر مخزون الذاكرة الجمعية للحدس بالسياق الذي ستؤكد القراءة أو تعدله، بحسب ما يسمح به نظام الأدلة في النص"⁰.

غير أنه وفي نظر شولز أن دراسة الشفرات في إنتاج النصوص الاجتماعية "وتأويلها غالبا ما تقاوم بحجة أنها لا إنسانية. وهذا شيء مفهوم، لكنه موقف أخذ عدد المتمسكين به يتضاءل مع نمو معارفنا عن العمليات التي تتحكم بتشغير النصوص"⁰.

تحليل رؤية شولز على موقف إيريك دونالد هيرش **Eric donald Hirsch (1928 - ...)** من قضية التأويل في أن العملية التأويلية تركز في دراستها للنصوص على النص بصفته حامل لدلالات معينة يمكن الوصول إليها وتفسيرها تفسيراً موضوعياً، وهكذا تعود الهرمنيوطيقا إلى مكانها الطبيعي ومنبعها الأول، مع شلايرماخر **Schleiermacher (1768 - 1834)** أين بدأت بالبحث عن القوانين والمعايير التي تؤدي إلى تفسير صحيح، وهي الوسائط اللغوية التي يعتمدها المؤلف للتعبير عن فكره.

هذه القواعد التي لقيت اعتراضاً من البنيوية كونها تنادي بموت المؤلف، وكذلك لقيت هذه القواعد فيما بعد انتقاد كل من هيدغر **Hedegger (1889 - 1976)** وغادامير **Gadamer (1900 - 2002)**. جاء اعتراض البنيوية "بدعوى أن النص نسق مغلق منكفي على نفسه لا يحيل إلا على داخله كمعجم قادر على إنتاج المعنى وإفراز الدلالة"⁰. أما عند الهرمنيوطيقا، حتى وإن اختلفت منطلقاتها مع هيدغر وغادامير عن البنيوية، فهي كذلك لم تعط للمؤلف الاهتمام المستحق.

وقد رأينا كيف انتقد غادامير وجهة نظر كل من شلايرماخر وديلتاي **Dilthey (1833 - 1911)** في هذا الإطار "فالمؤلف، وحتى القارئ، لا يملك أن يفرض سلطانه على اللغة، فكلهما يُؤَلَد من التجربة كائناً لغوياً مصيره مرهون بما تمنحه إياه اللغة، لذلك فعملية التأويل يطغى عليها الحوار بين بنية الآفاق؛ بنية المؤول وبنية النص، وكذا منطق الجدل والمساءلة عبر المسافة الزمنية كإستراتيجية تأويلية تبقي الحدود بين النص والمؤول"⁰.

فهيرش يفرق بين المعنى الذي يحمله النص وبين المعنى الذي أراده المؤلف، "وهذا المعنى يمكن الوصول إليه من خلال فحص الاحتمالات العديدة التي يمكن أن يعينها النص"⁰، وعليه يجب على الهرمنيوطيقا ألا تهمل هذه المهمة.

وللإشارة هنا أن **هيرش** يتفق مع **بتي Betti** (...) في هذا المسعى من حيث أن الهرمنيوطيقا عليها أن تركز في دراستها على معنى النص حتى نضمن تفسيراً موضوعياً لا يتدخل فيه المؤول ويفرض رؤيته على النص، أي أن **هيرش وبتي** يريدان أن يعيدا "الهرمنيوطيقا إلى مجالها الطبيعي كما كانت مع **شلايرماخر** في التركيز على فهم النص"⁰ فهما يريان أن المنهج الفيلولوجي هو المنهج الأمثل لتفسير النصوص.

فالمعنى اللفظي الذي أراده المؤلف فيما يرى **هيرش** يبقى ثابت لا يتغير ومستبطن في الأثر، ويمكن ادراكه " عبر تحليل المتن تحليلاً لغوياً داخلياً، وتحليل الشواهد الخارجية التي تحكي عن نية المؤلف ومقصده، وهذا هو الملاك المعياري الوحيد المفترض للتأويل الصحيح، وهو أمر يمكن تشخيصه"⁰ إذ تعتبر التأويلية ذلك الفرع الفيلولوجي المتخصص في وضع القواعد التي تساعد على استخلاص المعنى اللفظي للنص على نحو موضوعي محدد.

ومنهج **هيرش** في نظر **شولز** هو أحسن الطرق محافظة للوصول إلى معنى النص، ذلك أن المؤلف هو أقرب وأفضل إلى معنى النص منه إلى القارئ، لأن "إنجازه مساو لما كان ينبغي أن ينجزه"⁰، وعليه يتعين على المشتغلين في حقل التأويلية أن يولوا الاهتمام لمقاصد المؤلف، التي من خلالها يمكن تحديد معنى النص وقصده، وبالتالي إقامة تأويل موضوعي. وهذا خلافا للمدرسة النقدية التي تؤكد على دور القارئ، فالقراء هم الذين يصنعون المعاني ولهم الحق في إضفاء المعنى على النص بداعي إلزامية حاجياتهم النفسية، وهذا وهم تاريخي في نظر **هيرش**، فهو يرى أن "المغالطة القصدية لا تقضي على الحاجة إلى النظر في القصد لتحديد المعنى (...) بل الجهل بأساليب الكتابة والاستعمالات اللغوية لفترة تاريخية ما والجهل بالمناهج الببلوغرافية في توطيد النص يمكن أن يؤديا إلى أخطاء تأويلية مضحكة"⁰.

تعد نظرية **هيرش** بعث للتأويل الفيلولوجي في نسخته الديلتية (نسبة إلى **ديلتاي**)، خاصة إذا اعتبرناه تأويل موضوعي للنص من خلال فهم مقاصد المؤلف، لأن النص حسب "له معنى لفظي واحد قصده المؤلف وعناه، لذلك فهو معنى قابل للتحديد من حيث المبدأ، أو يبقى ثابتاً عبر الزمان، يستطيع استعادته وإنتاجه كل قارئ كفاء. ثم إنَّ القصد اللفظي للمؤلف ليس هو كامل الوضع العقلي للمؤلف في لحظة الكتابة، وإنما هو فقط أحد مظاهر هذا الوضع خرج للوجود من خلال

التعبير اعتماداً على إمكانات اللغة وإحتمالاتها وأعرافها وتقاليدها، ولذلك فهو معنى مشترك بين القراء الذين لديهم القدرة على معرفة الأعراف والتقاليد نفسها وتطبيقها في ممارساتهم التأويلية⁽⁰⁾. هذا يعد في نظر هيرش أن النص يبقى مستعصياً على القارئ ما لم يربطه بصاحبه، أو كما يرى ديلتاي أن يعيش القارئ الحالة النفسية للمؤلف، وهذا مزج بين المنطلق اللغوي للنص والمعنى النفسي للكاتب.

فمن منطلق الخلفية الهرمنيوطيقية عند شلايرماخر وديلتاي يعتقد هيرش "أنه لا مناص لتجسيد تأويل صحيح انطلاقاً من المجال اللغوي المشترك للمؤلف وجمهوره الأصلي، فلا يمكن لنص ما حسب هذا التصور، أن يقول رهنأ ما لم يقله أصلاً في صورته التاريخية الأولى⁽⁰⁾."

(3) - النص، اللغة والهرمنيوطيقا: الوضع الابستمولوجي.

يمثل مشروع بول ريكور Paul Ricoeur (1913 - 2005) الجسر الواصل بين مختلف التيارات في العلوم الإنسانية، مثل ما فعل هيرش وبيتي، أي إقامة نظرية تأويلية موضوعية بمثابة علم لفهم النصوص وتفسيرها.

فهو يركز على تفسير الرمز، ويفرق بين طريقتين للتعامل مع ذلك. الطريقة الأولى التي عمل عليها ريدولف بولتمان Rudolf Bultmann ، والتي تتعامل مع الرمز باعتباره نافذة نطل من خلالها على المعنى، أما الثاني فيمثلها كل من فرويد Freud وماركس Marx ونييتشه Nietzsche⁽⁰⁾، والتي تتعامل "مع الرمز باعتباره حقيقة زائفة لا يجب الوثوق بها، بل يجب إزالتها وصولاً إلى المعنى المتخبي وراءها. إن الرمز في هذه الحالة لا يكشف عن المعنى، بل يخفيه وي طرح بدلاً منه معنى زائفاً⁽⁰⁾."

يقول جان غرادان Jean Grondin عن ولوج ريكور إلى عالم الهرمنيوطيقا كان من منطلق أبحاثه حول مشكلة الشر وهرمنيوطيقا الرموز Symboles : "مشكلة الشر، التي تعبر عن ذلك الضلال المبهم للإرادة، لا يمكن إخضاعها لموضوعة مباشرة إلا انطلاقاً من تأويل أو من هرمنيوطيقا معينة لرمزية الشر⁽⁰⁾."

في هذا الصدد يتسأل ريكور عن معنى أن يكون الإنسان خطأ؟ فيقول: "إن إمكانية الشر منقوشة في تكوين الإنسان (...). لأن الإنسان غير متطابق مع ذاته. فمفهوم اللاتناسب بين الذات والذات

هو الذي يلبي مطلب انطولوجية الحقيقة الإنسانية، لأنها تشكل درجة الوجود الإنساني وكميته وتصنع من المحدودية الإنسانية مزادفاً للاعصمة⁽⁰⁾.

والشر عند ريكور هو ذلك الذي نصارعه، كونه يمثل علاقة الضدية مع الذات، وهو ما يمثل صراع الخير والشر، واللاعصمية هي إمكانية الخطأ، والخطأ يكمن في الهشاشة التي تضع الإنسان في مقابل الموضوع، يقول ريكور: "الضعف يجعل الشر ممكناً بمعانٍ عدة يمكن تصنيفها في نسق متصاعد من التعقيدات، بدأ بالفرصة السانحة وصولاً إلى الأصل ومن الأصل إلى المقدرة؛ بالمعنى الأول نقول إن المحدودية النوعية للإنسان تجعل الشر ممكناً فقط، ونعني عندئذ باللاعصمة الفرصة، نقطة المقاومة الأضعف"⁽⁰⁾.

إن هرمنيوطيقا الت موضوعات الرمزية التي يعمل عليها ريكور تعود في الأساس إلى ديلتاي الذي جعل محورها العلوم الإنسانية ووجهتها الأساسية، "فكل العلوم الإنسانية في نظرها علوم تقوم على الإدراك، بحيث يتحتم علينا إذا ما أردنا استيضاح شروط صلاحية الفهم المتمحور حول تمظهرات الحياة التي انتظمت داخل موضوعات معينة، أن نعود مباشرة إلى البحث عنها داخل نظرية إدراكية معينة، ومن ثمة داخل الهرمنيوطيقا في المحصلة"⁽⁰⁾.

الهرمنيوطيقا عند ريكور تتطلع دائماً لفهم تموضع المعنى خلف الرموز، فعملية التفسير تقوم على حل شفرة المعنى الباطن في المعنى الظاهر، وفي كشف مستويات المعنى المتضمنة في المعنى الحرفي⁽⁰⁾.

تعتمد العملية التفسيرية على اللغة، وقوامها تحليل المعطيات اللغوية للنص وكشف مستوياته الباطنية. وهنا نشير إلى أن ريكور يرفض "الفهم البنوي للغة على أساس أنها نظام مغلق من العلاقات لا يدل على شيء خارجه"⁽⁰⁾، فالبنوية تركز في تحليلها اللغوي على اللغة **Langue** كونها تمثل نظاماً ثابتاً له قابلية الفهم.

من هنا يركز بول ريكور على اللغة ويؤسس لنظرية في المعنى. ففهم تأويل الوجود "يتم وفق ما تمنحنا إياه اللغة كوسيط من إمكانات لتشكيل علاقة بين ذاتنا والعالم المتجلى في رمزية اللغة (...)" على اعتبار أن الحقيقة إنما تتعدد فهما وتأويلاً عبر تلك الطاقة الرمزية التي يتحكم عليها النص، والتي بها يتعدد نصوصاً؛ فالرمزي هو التوسط الكلي للروح بيننا وبين الواقع؛ إنه يريد التعبير قبل كل شيء عن لا فورية **non immédiateté** فهما للواقع⁽⁰⁾.

والحقيقة في هذه الحالة كما يرى نيتشه، أنها مرتبطة بالوجود الإنساني، وهي التأسيس الفعلي لهرمنيوطيقا الارتباب (الشك) **L'herméneutique du soupçon**، فالعالم في نظره وفق

هذه الرؤية هو "نص يحتاج إلى التأويل، كما أن هذا التأويل الذي يعد نمطا آخر من المعرفة غير المعرفة الميتافيزيقية هو في الأصل تعبير عن إرادة القوة. ذلك ما سيقودنا إلى اعتبار أن الحقيقة ليس لها وجود ظاهري أو موضوعي، وأنها قيمة حيوية تمتلك وظيفة بإمكان الخطأ والوهم أن يؤديها"⁽⁰⁾.

يرتبط فهم الوجود عند ريكور بما تحمله لنا اللغة، من خلال النص الذي هو مسرح لصراع التأويلات. فالفهم بواسطة رموز اللغة جعل الهرمنيوطيقا تتحصر في أفق تفسير المعنى المستتر وراء ظاهر النص "إلى سعة النصوص حيث تتبدد أوهام الذات في وجود معرفة حدسية. إن هذه الوساطة التي يمنحها النص توطئها الكتابة"⁽⁰⁾، أي أن ريكور يركز على استقلالية المعنى داخل النص بتعدد مستوياته، وأن نسلم في علاقته بمؤلفه، وقد كان لهذه الرؤية أثرها الكبير في نظريته التفسيرية، "حيث أغفل علاقة المفسر بالنص، واعتبر أن مهمة التفسير هي النفاذ إلى مستويات المعنى في النص بوسائل التحليل اللغوي"⁽⁰⁾، أي التركيز على المعنى بدلا على البنية.

لقد أصبح فهم النص وتأويله مرتبط بالرمزية، هذه الأخيرة التي تدفع بنا إلى إعادة تشكيل رؤيتنا للذات والعالم، حيث تحول الرمز إلى عالم جديد،

فالهرمنيوطيقا المعاصرة فيما يرى هيدغر وغادامير أنها ذات بعد فينومينولوجي، "لأن التفسير فيها يكون منشغلا بماهية أو معنى ظواهر الوجود الإنساني في صلته الحميمة بظواهر الوجود ذاته، ومن بين هذه الظواهر الإنسانية التي انشغل بها هيدغر: الفن والشعر، ولقد وجد الطريق إلى الفهم معانها من خلال فهم ماهية اللغة ذاتها. أما الهرمنيوطيقا الغادامرية التي تعرف باسم الهرمنيوطيقا الفلسفية **Herméneutique philosophique** والتي تمتد لتشمل فهم وتفسير كل ما يكون قابلا للفهم والتعلل، فإنها وإن لم تكن تكرارا لهرمنيوطيقا هيدغر، فقد كانت امتدادا لمنطقاتها وتوسيعا لآفاقها، وهي بهذا الاعتبار تعد أيضا فينومينولوجية الطابع"⁽⁰⁾.

4- نحو مفهوم جديد للتأويل:

جاء في محاوره كراتيليوس Cratyle حول فلسفة اللغة، أن أفلاطون Platon لا يوافق "على دراسة الوجود والبحث عن حقيقته من خلال دراسة الأسماء وتحليلها والتعرف على معانيها الأصلية وتتبع تطورها عبر التاريخ، (...)، إنما البحث عن حقائق الموجودات هو دراسة الموجودات نفسها"⁽⁰⁾، عن طريق اللغة التي تجعل كل الأشياء معلومة. فأفلاطون يرى أن الأسماء والوجود، هي

جزء من الكلام (اللغة) وأن الكلام نوع من الفعل والتسمية أيضا نوع من الفعل، والفعل نوع من الوجود يصدر عن الموجودات أو الأشياء، ف"إذا كانت حقيقة الأشياء ليست كما تبدو لكل فرد منا، وأنها ليست نسبية تختلف من فرد لآخر، فإنه ينبغي أن يكون للأشياء الموجودة ماهيات ثابتة مستقلة عن ذواتنا وغير متأثرة بأهوائنا، وهذه الماهيات الثابتة هي التي تحافظ على العلاقات والصور الطبيعية للأشياء"⁰.

تُعدُّ نظريته إلى اللغة بما هي توسط بين الإنسان والوجود، دعوة إلى إعادة التفكير في علاقة اللغة بالكلمات والأشياء، فإذا كان "النظر إلى الكلمة كعلامة تدلُّ على شيء، فإنه في علوم الروح سلبٌ لطبيعتها الإبداعية في أن تكون ذاتها، وقتل لوظائفها التي لا تنتهي عدداً، وحبس لقدرتها على إبداع الأشياء من عدم، أو إعادة خلقها من جديد خلقاً آخر"⁰.

العلاقات التي يتحدث عنها هنا، هي اللوغوس **logos**، فهو أكثر من تطابق الكلمات والأشياء، هو الحامل للحقيقة والخطأ، فالوجود المعبر عنه باللغة هو شيء ثانوي بالنسبة لنظام العلاقات ضمن اللوغوس الذي يفصل الشيء ويؤوله، كما ذهبت إليه المدرسة الإيلية بخصوص الوجود الذي هو بعيد عن الحواس وأن حقيقة الوجود لا توجد إلا في العقل. هذه هي الخلاصة الحقيقية التي تمخضت عنها محاوره كراتيليوس. وهذا ما يذهب إليه في اعتبار اللوغوس هو الجانب الصوري من الإدراك **noetic** في تنوع ارتباطاته، بالنسبة للكلمة والعدد، حيث يصحان مجرد علامة على وجود محدد جيداً ومن ثمَّ معروف سلفاً. فالكلمة هي وسيلة تنقل إلى الشخص ما الذي يريده عندما يستعملها، فلها وجود في التطبيق، لذلك فذاتها تكمن في إشارتها إلى الشيء⁰.

(5) - التكامل بين الفهم والتفسير:

في إطار صراع التأويلات يرى ريكور أنه على التأويلية ألا تهمل مرحلة الفهم الموضوعي البنوي فحسب، وإنما أن تضعها كمرحلة أولية في طريق الفهم والتأويل، بل ندفع بالتحليل البنوي إلى العمق لينكشف معها معنى. وبهذا، " فإن الأشياء التي يقولها النص لا تتكشف عبر قراءة ساذجة وإنما عبر سبر أغوار إنبنائه وانتظامياته...) هذه هي تقريبا أهم الخطوات التي يضعها ريكور للارتقاء بالوضع الاستيمولوجي للتأويلية"⁰.

وعن دور هيرمنيوطيقا النصوص يقول ريكور: أنها " تنصب على الوضع الاعتباري للذاتية في التأويل. فإذا كان، بالفعل، الهم الأول للهرمنيوطيقا لا يسعى إلى الكشف عن نية مستترة وراء النص، وإنما عرض عالم أمامه، فإن فهم الذات الأصلية هو ذلك الفهم الذي، حسب الأمانة نفسها

لهایدغر وغادامير، يتلقى معلومات بواسطة (شيء النص اللامحدود). وتحتل العلاقة بعالم النص مكان العلاقة بذاتية الكاتب؛ وفي الآن نفسه، يكون مشكلة ذاتية القارئ قد ترحضت أيضاً. إن الفهم لا يعني إسقاط الذات على النص، بل عرض الذات على النص؛ إنه يعني تلقي ذاتا أوسع من تَمَلُّكٍ مقترحات للعالم يعرضها التأويل⁽⁰⁾.

فمن فكرة المخطط الدلالي في فهم النص، يرى ريكور أنه على المرء أن يبحث عن محور مرجعي لمجموع الحقل التأويلي، لأن فكرة تفسير النص عودتنا على أنه " يتضمن عددا من المعاني، وأن هذه المعاني يتشابه الواحد منها مع الآخر. كما عودنا أن المعنى الروحي معنى محول (التحويلات العلامةية للقديس أوغوستين) عن المعنى التاريخي أو الحرفي، بالإضافة إلى هذا المعنى. ولقد علمنا شلايرماخر وديلتاي أن ننظر إلى النصوص أيضاً، والوثائق، والصور بوصفها تعبيرات حياتية ثبتتها الكتابة"⁽⁰⁾.

وقد فسر ذلك فرويد عمل الحلم على أنه ينقل معاني متحجبة "تخضعه إلى التواء، يظهر في الوقت نفسه المعنى المستتر في المعنى الظاهر ويخفيه"⁽⁰⁾. ويكون هذا الالتواء في التعبيرات الثقافية للفن والأخلاق والدين إلخ.

خاتمة

تعمل الهرمنيوطيقا الفلسفية على " مجاوزة تعدد المناهج وتقنيات التأويل باتجاه شعور تأويلي يجد في البنية اللغوية للعالم La constitution langagière du monde ضمانا لفعاليته. إن طبيعة الأشياء ذاتها تجعل من حركة الفهم حركة شاملة وكلية. لذلك ينزع طموح الهرمنيوطيقا بأكمله إلى فهم الفهم. وهذه المهمة لا تتمثل في بسط إجراء يخص الفهم (...)، وإنما في إبراز شروط إمكانية الهرمنيوطيقا، أي الشروط التي تسمح بحدوث الفهم، كأن نقول: ماذا يجب أن نفعل لكي نفهم؟ كيف يكون الفهم ممكناً؟ (...) إن اللغة هي شرط إمكانية ترنسندنتالي (متعالي) للاعتقاد التأويلي الذي يحدث التوافق بين المؤول والشيء المؤول"⁽¹⁾، وهكذا تنتقل اللغة من الواقع الهامشي إلى مركز الفلسفة، لأن الوعي التأويلي يسهم في تشكيل العلاقة بين اللغة والعقل.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- روبرت شولز، السيمياء والتأويل، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د. ط)، 1994.
- 2- امبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بن كراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 2000، 1.
- 3- هوارى بلقنذر، مدخل إلى السيميائيات التداولية، الملتقى الثالث "السيمياء والنص".
- 4- عبد الغني بارة، الهرمنيوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقلي تأويلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008.
- 5- نصر حامد أبو زيد، إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة السادسة، 2001.
- 6- حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش المغرب، الطبعة الأولى 1992.
- 7- نبيهة قارة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1998.
- 8- بول ريكو، من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، تر: محمد برادة حسان بورقية، عيون للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى 2001.
- 9- سعيد توفيق، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر والتوزي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2002.
- 10- محمد خرياش، فعل القراءة وإشكالية التلقي، مجلة علامات العدد 10، سنة 1998.
- 11- عبد الله بريمي، السيميائيات التأويلية، التعاضد التأويلي والتلقي والأكوان الخطابية، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، ع1، صيف 2014.
- 12- سعيد بنكراد، السميوزس والقراءة والتأويل، مجلة علامات العدد 10، 1998.
- 13- جان غردان، المنعرج الهرمنيوطيقي للفينومينولوجيا، تر: عمر مهيب، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007.
- 14- أفلاطون، محاوره كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، منشورا وزارة الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1995.
- 15- عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2007.

- 16- عيساني امجد، النص ... المعنى، والترحال الأبدي غادامير، بول ريكور، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مجلة دورية محكمة تصدر عن جامعة وهران 1، العدد 8، جانفي 2018.
- 17- خدايار مرتضوي، التأويلية والمنهجية في العلوم الإنسانية، مجلة قراءات معاصرة، مجلة فصلية تعنى بالفكر والثقافة تصدر عن مؤسسة مثل الثقافية، النجف، شتاء 2015.
- 18- بول ريكور، فلسفة الإرادة الإنسان الخطأ، تر: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي، المغرب، الطبعة الثانية، 2008.
- 19- بول ريكور، الوجود والتأويل، ترجمة منذر عياشي، مجلة ثقافات شتاء 2002

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

- 1- C.s.peirce, Ecrits sur le signe, Ed, Le seuil, Paris.1978.
- 2- Savan David. La séméiotique de Charles S. Peirce. In: Langages, 14^e, année, n°58, 1980.
- 3- Coronti E, L'action du signe, Cabay, Librairie, Editeur Lauvain, La Neuve.
- 4- Jérôme Vogel, sémiotique de l'information chez Charles. s. Peirce, thèse de doctorat en sémiologie, université du Québec à Montréal.
- 5- Platon, Cratyle, Présentation et traduction inédite par Cathrine Dalimier, GF Flammarion, Paris, 1998.